إيــران بين النقد والتشهير

سأل كثير من الإخوة مكاتبةً أو مشافهة ، لماذا لا تنقدون سلبيات الأوضاع الحاليــة في إيــران ، ولا تكــادون تنشرون في (الرائد) إلاّ الإيجابيات ؟ .. ألا تعتقدون بوجود أخطاء ، أم أنكم ترون في التــستر عليهــا والإشــادة بالمنجزات خدمةً للثورة الفتية وهي في بداية الطريق إلى إقامة حياة إسلامية وحكم إسلامي ؟

وأورد بعض هؤلاء الإخوة أمثلةً على ما يقصدون ضرورةَ الحديث عنه ، ابتداءً بالمحاكمات والأقليات وسياســة الإعلام ، ومروراً بالاتصالات الإيرانية بالمسؤولين في سورية في الظروف الراهنة ومستقبل سياسة إيــران في منطقــة الخليج ، وانتهاءً بما يُنتظر من إيران في ظل حكم إسلامي اتجاه الحركات الإسلامية في كل مكان

وكان من الإخوة المتسائلين المتحمس الشديد الحماس الذي يريد أن تحقق الثورة كل شيءٍ في فتــرة وجيــزة ، والمتأثر بعض التأثر بالحملات الإعلامية في مختلف المناطق وعلى مختلف المستويات للتشهير بالثورة ، والمخلص المشفق على الثوار المخلصين من الزلل والناظر نظرةً موضوعية يرى من خلالها أخطاءً يمكن القبول بها في المرحلة الراهنــة ، وأخرى لا يرى لها مبرراً موضوعياً ظاهرا

ونحن لا نتابع التطورات في إيران بل نعيشها مع إخواننا ، فما يهمهم يهمنا ، وبمقدار ما يحرصون على النجــاح والفلاح نحرص على أن نحافظ على النظرة المخلصة الواعية ، كم دأبنا على ذلك بعون الله منــذ ســنين والثــائرون المخلصون مطارَدون داخل إيران وخارجها لا يذكرهم آنذاك المشهّرون بهم اليو بكلمة خــير ، وخــلال الــشهور الماضيات والثائرون المخلصون ينتقلون من نصرٍ إلى نصر على درب التضحية والشهادة لا يكادون يجدون من يفــرح بنصرهم أو يألم مع ذوي شهدائهم ، وفي هذه الأيام أيضاً والثائرون المخلــصون يواجهــون العقبــات الداخليــة والخارجية ، فيجدون من التشهير بهم أضعافَ أضعافِ ما هم جديرون به من العون بالإضافة إلى النقد المخلص البنَّاء

نعيش هذا كله ونحن نقوّم بمقياس الإسلام بإذن الله ، ونسأله تعالى تسديد خطوات الثائرين المخلــصين وتحقيــق الأهداف الإسلامية الجليلة المعلنة في إيران

والنقد المخلص هو من أحوج ما يحتاج إليه المخلصون في إيران ، وفي كل مكان ، في هذه المرحلــة ، وفي كــل مرحلة .. يعلمنا إياه القرآن العظيم في غزوة أحد والمسلمون يوارون شهداءهم :

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : 165]

ويعلمنا إياه القرآن العظيم في غزوة حنين وقد انتهت بانتصار المسلمين :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة : 25-26]

ويعلمنا إياه القرآن العظيم والدعوةُ في مهدِها بعد ، والمسلمون قلّةٌ مستضعَفة في مكة المكرمة ، وحولها الــشرك والكفر في كل مكان من الأرض .. والدرس هنا للرسول ﷺ نفسه ، وهو بالتالي لكلّ إنسانٍ من دونه :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس : 1-11]

كما يعلمنا إياه القرآن العظيم أيضاً وقد أقيمت أول أركان الحكم الإسلامي في مجتمع المدينة المنورة ، وتحقّق أوّل انتصارٍ عسكري على المشركين في بدر .. والدرس هنا أيضاً لرسول الله ﷺ وبالتالي فهو لكل مسلمٍ من بعده :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : 67-68]

نحن إذن لا نتجنب النقد لأنفسنا ولا لسوانا ، لا لإخواننا في إيران ولا لإخواننا في أيّ مكان ، بل نعتبره واجبــاً إسلامياً ثابتاً في كل مجال وحال ، ونقول بإذن الله الحق الذي نعتقده بمقياس الإسلام ومصلحة الإسلام والمــسلمين ، ولكننا نفرق بين نقدٍ ونقد ، بين إرشاد إلى الأخطاء بأسلوب إسلامي ، ليكون التواصي بالحق والتواصي بالــصبر ، وتشهيرٍ بمن يرتكب الأخطاء وتجريح له ، فلا نرضى بذلك لأنفسنا ولا لسوانا

ولقد قرأنا وقرأ المسلمون ، وسمعنا وسمع المسلمون الكثير من التشهير بثورة إيران الإسلامية وثوارها المخلــصين ، وجُلُّ هذا التشهير لا يستند إلى واقع بل يختلق الأكاذيب ، والقليلُ القليلُ منه ما يأخذ بعض الأخطاء فيهــول مــن شأنها ، ويضيف عليها ، حتى يدخل الشك في قلوب المخلصين في كل مكان ، ويستعديهم على الثائري المخلصين في إيران ، مجنداً القوى ضد ثوار إيران .. وضد الإسلام نفسه

ولقد قلنا من قبل وما زلنا نقول مخلصين : إنّ الثورة الإسلامية في إيران حققت هدفاً كبيراً واحداً إذ أســقطت الطاغوت العاتي وحرّرت أبناء البلاد منه ، وهدّمت بذلك الكثير من حسابات الطواغيت جميعاً صغاراً وكباراً ، وإنّ أمامها أهدافاً أجل وأكبر .. على طريق إقامة الحياة الإسلامية وحكمٍ إسلامي

وقلنا ونقول : إنّ مقياس الإخلاص الحقيقي للثورة الإسلامية في إيران هو في مدى دعم المخلصين الثائرين لتحقيق تلك الأهداف الكبيرة ، وليس في التشكيك بهم وبإخلاصهم وبكفاءتهم ، كلما واجهتم عقبة وحاولوا تجاوزهـــا ، أو اصطُنعت في وجوههم عقبة ومضوا لإزالتها ، وربما يتمكنون من ذلك في بعض الأحيان دون أخطاء جسيمة ، وربما يقعون أحياناً في بعض الأخطاء .. ودعمُهم آنذاك يكون في مزيد من العون لهم على تجاوز العقبات وتجنب الأخطاء ما أمكن ذلك

أما التشهير بالثورة وأصحابها الحقيقيين ، اعتماداً على مواقف تياراتٍ معاديةٍ للثورة من داخل إيران نفسها ، قــد تتقمص اسم الإسلام أحياناً لتجد الأنصار لنفسها ، فإن دلّ على شيء إنما يدل على الرغبة في محاربة الإسلام نفسه ، ومحاربة كل حكمٍ إسلامي ظهرت البوادر لاحتمال قيامه ، أو يدل في أحوالٍ نادرة على الجهل المطبق . ومن خــلال هذه الرؤية .. ورؤية الواجبات الجليلة والعقبات الكبيرة ، نتوجه أولاً إلى إخواننا المخلصين في إيران وننقل إليهم مــا يدور في صدور الكثير من إخوانهم فنقول :

إنكم بحكم مسؤوليتكم الإسلامية الجسيمة في إيران أولاً ، وبحكم مسؤوليتكم التاريخية في معركة الحق والباطــل في كل مكانٍ ثانياً ، مطالبون بأكبر قدرٍ ممكنٍ من الحرص على سلامة كل خطوةٍ تخطوها لتحقيق الأهداف المعلنة ..

لقد أصبح الكثيرون من المسلمين وغير المسلمين يريدون تقويم قدرة الإسلام على الحكم في هذا العصر من خلال تقويم مدى النجاح أو الفشل في إيران ، وأنتم تعلمون قبل سواكم ، أن الإسلام هو الأصل ، وهو الذي كان مــن قبل ويبقى من بعد ، لا يُحكَم عليه من خلال التجارب والأشخاص ، بل يُحكم على التجارب والأشخاص بمقياسه ، وكلما ارتفعت التجربة إلى مستواه وفهمت العصر .. كانت أقرب إلى النجاح ، وكلما ارتفع الأشخاص بأنفسهم إلى مستواه ، وفهموا العصر ، وتفاعلوا معه كما يريد الإسلام .. كانوا أقرب إلى تحقيق النصر

وإننا نعدد لكم دون حصر بعضَ ما تعرض إليه الإخوة في رسائلهم وأحاديثهم من أمثلةٍ لما ينبغي التناصح فيــه ، وكثيرٌ من ذلك مما سبق أن قرأنا أو سمعنا مثله أو شبيهاً به على ألسنة المسؤولين عن الثــورة الإســلامية في إيــران أنفسهم :

1- المحاكمات

إنّ الصفحة الماضية هي صفحة الطغيان والاستغلال والإجرام ، وإنّ آلامها لا تزال مشتعلةً لاهبةً في الــصدور ،

وإننا لنرى الإسلام يحمل دعاته في إيران مسؤولية فتح صفحةٍ جديدةٍ ، بتوجيه الجهود كل الجهود لمعركة البناء أولاً ، فإذا استقرت الأجهزة التشريعية والقضائية والتنفيذية تابعت العدالة مجراها في طريقٍ أكبر ضماناً وأمناً ، لا يُخشى فيها من أخطاء نحمل مسؤوليتها ، سواء كانت صغيرةً أم كبيرة ، وهي مسؤوليةٌ جسيمة على جميع الأحوال

أما الذين يريدون التشهير بالثورة الإسلامية في إيران ، فيصمونها بأنها ثورةٌ (انتقاميـــة) فحـــسب ، فحـــسبُنا أن نذكرهم بأنهم لا يرفعون للإنسانية صوتاً تجاه انتقام الحكام في كثير من البلدان الإسلامية نفسها مـــن دعـــاة الحـــق أضعافَ ما يُوصف بـ (الإنتقام) الجاري في إيران من فلول الباطل ، وأنهم وسواهم مؤيدون أم متفهمون أو صـــامتون تجاه استمرار ملاحقة النازيين ومحاكمتهم على جرائمهم الكبيرة قبل بضعة وثلاثين عاماً ، ولا يكاد أحدٌ منهم يسميها (انتقاماً) .. أما مقياسنا نحن فهو مقياس الإسلام ، دين التسامح ، ودين العفو عند المقدرة ، مع بقاء حق العفو عمن ارتكب جرائم الطغيان والاستغلال في إيران في يد أبناء إيران أنفسهم ، نحبب إليهم العفو عند المقدرة كمـــا يأمرنـــا الإسلام ، ثم لهم أن يقرروا في ذلك كما يشاؤون عند استتباب الأوضاع .. وذلك مما يقضي به الإسلام

2- الأقليات

لقد انتزعت الحقبة الماضية الشعور بالثقة من قلوب الكثيرين ، وقطع إبعادُ المسلمين عن دينـــهم عـــبر عـــشرات السنين شوطاً كبيراً ، ويمكن لأعداء الإسلام ومستغليه النفاذ من هذه الثغرة بمحاولاتهم لضرب الثـــورة والمخلـــصين ضرباتٍ خطيرة ، ولا يمكن تجاوز جدار افتقاد الثقة إلاّ بالعمل الإيجابي البناء الدائب والصبر الطويل

ولا بد للمسؤولين في إيران أن يكونوا دائماً أرحب صدراً ، وأطول صبراً ، في مواجهتهم المخلـــصة لمختلـــف المشاكل المتعلقة بالأقليات ، وإذا أخطأ الآخرون فعليهم هم التماس الأعذار لهم ، وإذا غُرِّرَ بالآخرين فعليهم هم بيان الحق لهم .. وستزول الأخطاء وسيستحيل التغرير بالتسامح بعد التسامح ، وبتجنب العنف الذي لا يؤدي في النهايـــة إلاّ لتغذية جهود الأعداء والمستغلين ، من حيث لا يريد المخلصون أنفسهم

أما الذين يشهّرون بالثورة الإسلامية في إيران ، ويقولون إنها ثورةٌ (قومية) ، أو إنها ثورةٌ (شيعية مذهبية) .. فإننا نقول لهم ، إن معظمهم يحمل شعارات (القومية) ويغذي تفرقة المسلمين بها ، وهو يضرب أبناء قومه وأبناء دينه على السواء .. ويثير أو يشارك الغرب أو الشرق في إثارة الفتن الطائفية وتهويل الخلافات المذهبية ، ونحن نثق كل الثقة أن إخواننا المخلصين في إيران يعلمون أبعاد ذلك ، ويعلمون أن كل زللٍ في هذا المجال يعود بالأضرار الجسيمة على سائر المسلمين على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم

3- سياسة الإعلام

كان من أكبر منجزات الثورة منذ وصولها إلى السلطة إعادة حرية الكلمة المفقودة منذ عشرات السنين ، وتمتَّـــع أبناء الشعب بذلك ، كما استغلته فلول أتباع الغرب والشرق بكل سبيل .. وضاقت بهم الثورة وحاسبت بعضهم ممن

تجاوز حدود حرية الكلمة إلى درجة اختلاق الكذب ونشر الشائعات ، فثارت ثائرة الراغبين في التشهير بـــإيران في بلاد الغرب خاصة ، وربما أثّر ذلك على كثير من المخلصين خارج إيران ، ولا سيما الذين يعانون من افتقـــاد كـــل صور الحرية بما في ذلك حرية الكلمة في بلادهم الإسلامية ، ولكن من يتجاوز عملية التشهير إلى حقيقة ما يجري في إيران ، يجد أن الإجراءات التي اُتخذت اقتصرت على منع (الكذب والإهانات) فهل في بلدٍ واحد من البلدان التي تعتز بحرية الإعلام فيها قانونُ يسمح بالكذب والإهانات دون أن يتدخل القضاء في ذلك ؟ .. أو حددت للإعلام الالتزام بمبادئ الإسلام التي أقرتها الغالبية العظمى للشعب منهجاً لها ، فهل في بلد واحد من البلدان التي تنادي بـ (الديمقراطية الغربية) وتقول إنها تطبق مبادئَها ، قانونٌ يسمح بـ (محاربة الديمقراطية) وبالدعوة إلى الدكتاتورية بأية صورة من الصور ؟ .. لا يوجد ، إنما هو التشهير ، الذي مضى إلى أبعد من ذلك فقال إنّ إيران تحدّ من حرية الصحفيين الأجانـــب ، ومن يقرأ ما يكتب في الصحف الأجنبية بأقلام مراسليها من داخل إيران يدرك كذب هذا الإدعاء وعمق الهوة الـــتي وصل إليها التشهير بإيران في الغرب بصورة خاصة

4- الاتصالات الإيرانية بسورية

آلام المستضعَفين في سورية هي التي أثارت شعوراً بالمرارة في قلوب كثير من المخلصين عنـــدما رأوا الزيـــارات المتبادلة بين المسؤولين في إيران وسورية ، في هذه الفترة التي اشتدت فيها وطأة الحكم الدكتاتوري في سورية علـــى المسلمين فيها ، ولا نتعرض إلى دوافع بعيدة ، وإنما نشير إلى بعض الظواهر .. وقد نجد هنا في مجمـــوع الأوضـــاع القائمة في المنطقة ما يبرر الاتصالات سياسياً ، وربما كانت الأحاديث الخاصة بين المسؤولية لا تخلو من الإشـــارة إلى الوضع الراهن في سورية ، و لم تخلُ الكلمات العلنية من الإشارة غير المباشرة ، ولكن ما يفتقده الإخوة القرّاء ، هـــو تأكيد الثورة الإسلامية في إيران بصورة بيّنة على رفضها لأسلوب الحكم الطائفي الدكتاتوري في سورية وممارســـاته العملية اليومية تجاه المسلمين ، ونحن واثقون مع قرائنا ، أن المخلصين في إيران لا يرضون للـــشعب المـــؤمن الأبي في سورية بأقل مما طالبت به الثورة لشعب إيران ، إنهاء الظلم والدكتاتورية والاستغلال ، وإعادة الحرية لشعب ســـورية ليختار بنفسه طريق حكمه ومنهج حياته .. وهيهات يختار المسلمون في سورية أو سواها إذا ملكوا مصيرهم بأيديهم وأبصروا طريقهم ، سوى الإسلام كما أنزله الله

أما التشهير بإيران لمجرد التشهير ، أو التشهير عن حسن نيةٍ بهذا الموقف أو ذاك ، وبما يقوم به المسؤولون في إيران من اتصالات أو ينسب إليهم من أقوال ، فلا يخدم مصلحة المسلمين في سورية ولا إيران ، ولا يحقق الهدف الـــذي يتطلع إليه العاملون المخلصون للإسلام في كل مكان ، من عودة إلى منهج الحياة الإسلامية وأخذ بنظام الإسلام كله

5- سياسة إيران في المنطقة

ونعتقد بأن السياسة الرسمية لإيران في المنطقة هي السياسة التي سبق أن أُعلنت على أكثر من صعيد ، الخليج خليجٌ إسلامي ، وإيران لا تقوم بدور الشرطي فيه ، والأمن فيه أمنٌ مشترك ، ولا ينبغي أن يكون للشرق أو للغرب نفـــوذٌ

فيه .. ثم إنَّ المخلصين في إيران يطالبون بما يطالب به المخلصون في الخليج وفي كل مكان ، أن يُحْكَـــمَ المـــسلمون بالإسلام في الخليج وسواه

ونعتقد أيضاً أن المبعث الأكبر لقلق المسؤولين في دولٍ مجاورة لإيران ، هو عدم استقرارهم الداخلي وليس الخوف من تهديد خارجي ، فتهديد المعسكر الغربي ثابت الجذور والأركان منذ زمن بعيد ، وتهديد المعسكر الشرقي ماثـــلٌ أمام العيون منذ زمن بعيد ، والإخلاص الحقيقي يقتضي التعاون مع إيران لإزالة النفوذ الغربي وصد النفوذ الشرقي .. أما التهديد الداخلي فمصدره الأوضاع الداخلية ، على المسؤولين في الدول المجاورة لإيران تحكيم الإســـلام منـــهجاً للحياة ونظاماً للحكم ، إذا أرادوا زوال التهديد الداخلي ، وأرادوا أن يتعاون الجميع على صدّ الأطمـــاع الأجنبيـــة وإنهاء عهود التبعيات

ويجب أن تحرص الثورة الإسلامية في إيران كل الحرص على بيان هذه الأسس في تعاملها مع دول الخلـــيج ، وفي إعطاء صورةٍ حقيقية عن نفسها لأبناء الخليج ، كما ينبغي على جميع المخلصين في إيران تجنب كل كلمة أو تـــصريح يمكن أن يؤخذ من محتواه ما يؤخذ للاستغلال وللتشهير بالثورة ، بغرض الفصل بين الشعوب الإسلامية وبين مبادئ الإسلام نفسه .. والذين يعملون على التشهير بإيران بهذه الوسيلة ، إنما يشهّرون في النهاية بأنفسهم ، ويزيدون عمق الهوة الفاصلة بين أنظمة الحكم القائمة والشعوب المتطلعة إلى الحياة الإسلامية والحكم الإسلامي

6- إيران والعمل الإسلامي

إنّ من أعظم ما حققته الثورة الإسلامية في إيران لسائر العاملين للإسلام أنها أثبتت للعالم كله ، أن الإسلام هـــو القوة الحقيقية القادرة على تحريك الشعوب في بلادنا الإسلامية من أعمق أعماقها ، وإنّ من أعظم ما تستطيع الثورة الإسلامية في إيران أن تقدمه للعاملين للإسلام في كل مكان أن تعطيهم نموذجاً واقعياً لتطبيق الإسلام -كمـــا تـــراه الثورة على الأقل- في هذا العصر بالذات

أما أن يتوقع البعض تكرارَ نموذج الثورة الإسلامية في إيران خارج إيران فهذا توقعٌ لا يستند إلى معرفة خلفيـــات الواقع في كل بلد إسلامي على حدة ، ولا إلى إدراك طبيعة التحولات الجذرية وكيف يمكن أن تقع

وأما أن يتوقع البعض أيضاً أن يكون كل ما تتخذه الثورة من خطوات في إيران ، هو النموذج لما ينبغي اتخـــاذه يوماً ما في هذا البلد أو ذاك لإقامة الحياة الإسلامية والحكم الإسلامي ، فذاك توقعٌ يستبق الأحداث ، ولا ينطلق من تصورٍ عملي لأوضاع البلاد الإسلامية وشعوبها ، بل ولا إلى معرفة كافية بالإسلام نفسه واتساع آفاقه

ونعود إلى التأكيد على أن الإخوة في إيران أنفسهم ، يعلمون أن الإسلام هو الأصل ، وهو الذي يحكـــم علـــى التجارب والأشخاص وليس العكس ، وإن العاملين للإسلام مطالبون قبل سواهم بتقديم كل دعم ممكـــن للثـــائرين

المخلصين في إيران لتثبيت جذور الحياة الإسلامية وأركان حكمٍ إسلامي بعون الله

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : 105]